اختلاف النصارى
في
معبودها ودينها ونبيها

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

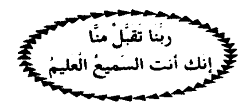
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين







بسم الله الرحمن الرحيم





هذا الكتاب جزء من كتاب
«دعوة أهل الكتاب لدين رب العباد»

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

اختلاف النصارى
في
معبودها ودينها ونبيها

مُقدِّمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

أما بعد:

فقد صدرت طبعات عديدة من كتاب (دعوة أهل الكتاب لدين رب العباد) - بفضل الله - وانتُفع به، وطُلبت ترجمته بأكثر من لغة، وتم عرضه على المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وأُجيز، ثُمَّ رُؤي أن يُطرح في هيئة أجزاء صغيرة؛ حتى يكون في متناول اليد.

وهذه الطبعة تصدر في وقت تطاول فيه بابا الفاتيكان الكاثوليكي بروما على شخص رسول الله ﷺ، حيث نقل مؤيدًا قول الإمبراطور البيزنطي للأديب الفارسي المسلم أن النَّبيّ ﷺ ما جاء إلاَّ

بالشرّ والسوء بالنسبة للإنسانية، وأن دعوته ما انتشرت إلاّ بحدّ السيف - كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبًا - بل جاء بالحق وصدّق المرسلين، ولا تُعرف نبوة نبي إلاّ من طريقه صلوات الله وسلامه عليه.

والبشارة به ﷺ موجودة في الكتب السابقة، ما لا يقل عن مائة وخمسين بشارة، مبعثه ومهجره وهيئته ودعوته... والكفر به كُفرٌ بالله وبجميع الأنبياء والمرسلين، هو سيد الأولين والآخرين والمبعوث رحمة للعالمين، أول شافع وأول مشفع، صاحب لواء الحمد، آدم فمن بعده تحت لوائه، ولو كان موسى وعيسى أحياء زمن بعثته ﷺ لكان لزامًا عليهما أن يتابعاه.

هو أول من يدخل الجنة، فيقول خازنها مَنْ؟ فيقول: محمد. فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك، بُعث ﷺ بقضيب الأدب حرزًا للأميين، فتح

الله به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا، زكّى لسانه فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③﴾ (النجم: ٣)، وزكّى بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰﴾ (النجم: ١٧)، وزكى معلمه فقال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (النجم: ٥)، وزكّاه كله فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ④﴾ (القلم: ٤). هدانا الله بنبيه محمد ﷺ، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، وآتانا ببركة رسالته ويُمن سفارته خير الدنيا والآخرة، وكان من ربه بالمنزلة العليا فلا يُذكر اسم الله إلا ويُذكر النّبيّ ﷺ معه.

وأدنى ما له ﷺ من الحق علينا، بل هو ما أوجب الله من تعزيره ونصره بكل طريق، وإيثاره بالنفس والمال في كل موطن وحفظه وحمايته من كل مؤذٍ، وإن كان الله قد أغنى رسوله عن نصر الخلق، ولكن ليبلو بعضكم ببعض، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب.

وقد ذكر ابن تيـمية في كتـابه «الصارم المسلول» أن من سبّ النَّبيّ ﷺ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله من مسلم أو كافر، وهذا المذهب عليه عامة أهل العلم، فـإن كان ذمـيًا تـعين قـتله، فـلا يجوز المن عليـه ولا مفـاداته، فإن وصل أمره إلى الحاكم وتاب السَّـاب أقام الحاكم الحـدّ عليه، وللنّبيّ ﷺ أن يعـفو في حـقه، وليس للأمـة أن تصفح عـمن سبّ نبـيّهـا صلوات الله وسلامـه عليه، وأن السـاب إن كان مـسلمًا فإنـه يُكفّر ويُقـتل بغـير خـلاف، وهو مـذهب الأئمـة الأربعـة وغيرهم، والكتاب يقع في نحو من سـتمائة صفحة من القطع الكبير.

لقـد ثارت ثائرة المسلمين هنا وهناك بـسبب إسـاءة الصـحيفـة الدانماركـيـة من قـبل ودُعي رئيس الوزراء الدانماركي إلى الاعتـذار، ولم يعتـذر وأصرّ هو وملكة الدانمارك على أنها مسألة حريات، ودُعي البابا للاعتذار،

وخرج بدوره في بيان دبلوماسي يتعجب لموقف المسلمين من كلمة نقلها عن الإمبراطور البيزنطي.

وهكذا يتمادى الغرب الصليبي في بذاءته وسفهه، وقد أغراه ضعف هذه الأمة وانحرافها عن دينها، فانتقل من حروب الإبادة التي لا هوادة فيها للمسلمين في أفغانستان والعراق وفلسطين... ومن قبل في البوسنة والهرسك، حروب صليبية - كما وصفها الرئيس الأمريكي بوش - طالت الشيوخ الرُّكَّع والبهائم الرُّتَّع والأطفال الرُّضع، انتهكوا أعراض المسلمات وشردوا ملايين المسلمين في بقاع الأرض، فعلوا ذلك تحت سمع وبصر الأمم المتحدة - ربيبتهم والمتواطئة معهم - فعلوا ذلك وهم ينعتون الأمة المسلمة بنعوت التطرف والإرهاب، ويتطاولون على رسول الله ﷺ - رمتني بدائها وانسلت -.

وإذا كان حاضرهم شاهدًا على دمويتهم

وإجرامــهم، فمــاضيهم لا يقل شــرًا وسوءًا، فــما بين الحروب الصليبيــة ومساعدتهم التتار ومحــاكم التفتيش، لقــد أبادوا مــا لا يقل عن ثــلاثة مــلايين مــسلم في الأندلس وحــدها، حــاضرهم وماضيــهم لا يعــرف السمــاحة ولا السلام، وأقوالهم وأفــعالهم تنضح بالسم الزُعــاف لهذه الأمة، خــذ وصفــهم من خالقــهم، ولا ينبئك مثل خــبير ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمــران: ١١٨)، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠).

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧)، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ١٠).

وهم في انطلاقــهم لإبادة المسلمين وذبح أطفــالهم يصدرون عن عقــيدة؛ ففي أسفار التــوراة التي يتداولها اليهود تقرير شريعــة الحرب والقتال في أبشع صورة من

صور التخريب والتدمير والإهلاك والسبي؛ فقد جاء في سفر التثنية في الإصحاح العشرين منه عدد ١٠ وما بعده ما يأتي نصه:

«حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفُتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بالتسخير، ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربًا، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا، فلا تبقِ منها نسمة ما، بل تحرمها تحريمًا - الحثيين، والأموريين،

والكنعانـيين، والفرزيين، والحويين، واليـوسيين، كـما أمرك الرب إلهك».

وفي إنجـيل مـتى المتـداول بأيدي الـنصـارى في الإصحاح العـاشر عدد ٢٤ وما بعـده يقول: «لا تظنوا أني جئت لألقي سـلامًا على الأرض، مـا جئت لألقي سلامًا، بل سيفًا، فإنني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنة ضد حـماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته، من أحب أبًا أو أمًا أكثر مني، فلا يستحقني، ومن أحب ابنًا أو ابنة أكثر مني، فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه، ويتبعني فـلا يستحقني، ومن وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها».

هذا شأن من كـتبوا الكتـاب ثم قالوا هذا من عند الله ليشـتروا به ثمـنًا قليلاً، ولم يكن فـعل الكاثوليك بالبروتستـانت وتنكيلهم بهم بأقل من فعلهم بالمسلمين، وطوائف النصارى يُكفّـر بعضهم بعضًـا، وما اجتمـعوا

مجتمعًا إلا وتلاعنوا فيه، فكلهم لاعن وكلهم ملعون، ولو اجتمع عشرة منهم لقاموا على أحد عشر قولاً.

وإذا كانوا قد نسبوا لله الصاحبة والولد وسبوا الخالق جل وعلا، فهل يُستبعد منهم سبّ النبيّ ﷺ وانتقاصه، وهم مع تأليههم لعيسى عليه السلام يزعمون أنه قد مات وأن اليهود ألبسوه إكليل الغار وصفعوه على قفاه، وقالوا له يا ابن كذا.. عقائد خربة، وكل إناء بما فيه ينضح.

وهذه العقيدة مسروقة ومغشوشة من عقيدة الهنود في بوذا وكرشته، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾ (التوبة: ٣٠، ٣١).

لم ينعم النصـارى بالطمأنينة والرحـمة تحت حكم بني ملتهم من الرومـان ولم يتذوقوا طعم ذلك إلاّ تحت حكم المسلمين، بل كانـت المرأة من أهل الشام لا تأمن على نفســها في وجود أبيـها في الوقت الذي تأمن فـيه بحضرة صحابة رسول الله ﷺ .

وقد أظهر بابا رومـا محبة ومودة لـليهود في نفس البيـان الذي ألقاه في ألمانيـا، وهذا لا يستـغرب فعـقد الإخاء وثيق بين اليهود والنصـارى، وهو إخاء عقائدي في المقـام الأول، قـال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ٥١).

وقد اسـتطاع اليهود في الآونة الأخـيرة استـصدار وثيقة من الفاتيكان تبرئهم من دم المسيح، فبطلت بذلك عـقـيدة الـصلب والفـداء عند النصـارى، وهي صُلب العقـيدة النصرانيـة، ونحن بدورنا نعتقـد أن المسيح في

السماء وينزل في آخر الزمان، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويحكم بشريعة الإسلام، ويموت بالمدينة، ويُصلي عليه المسلمون، ويُدفن مع رسول الله ﷺ ، فلم يقتله اليهود، ولم يمت بعد، بل أُلقي شبهه على يهوذا الخائن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٥٧).

وتواطؤ الغرب الصليبي اليوم مع اليهود على حساب المسلمين في فلسطين وتواطؤهم مع الملاحدة الشيوعيين لإبادة المسلمين في الجمهوريات الإسلامية كالشيشان أمرٌ لا يخفى على أحد، ولعل البابا في بيانه السفيه يُنشط ذاكرتنا؛ حتى لا ننسى عقيدتهم وسلوكهم تجاهنا عبر العصور وكر الدهور، وإلاَّ فهم يعرفون النبيَّ ﷺ كما يعرفون أبناءهم، مبعثه ومهجره ودعوته، والواجب عليهم أن يدخلوا في السلم كافة، وأن يدينوا بدينه ﷺ ؛ ففي الحديث: «والذي نفسي بيده لا

يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار» (رواه مسلم).

إن بابا روما يعلم كيف انتشر الإسلام في أوروبا ومصر وأفريقيا وجنوب شرق آسيا، وكيف عمّت دعوته المشارق والمغارب، كما يعلم أيضًا ما صنعوه هم مع المسلمين في البوسنة والهرسك وأفغانستان والعراق..

وهذا تاريخ لن يُنسى وحقوق لن تسقط بالتقادم، وليس عندنا ما نتوارى به خجلاً، فكم من بلد فتحت بالقرآن وكم من بلد فتحت بالسيف والسنان ولا حجر على سعة رحمة الله، والفارق كبير بين من يجاهد في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله في الأرض وتعبيد الدنيا بدين ربها، وبين من يقاتل في سبيل الطاغوت، أو لنشر ديمقراطية أو نصرانية، قال تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا**

الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ (التوبة: ٣٦)، وقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٩)، وقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا﴾ (البقرة: ١٩٠)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾ (التوبة: ١٢٣).

نصوص كثيرة تدل على جهاد الدفع والطلب، أي دفع الكفار عن ديار المسلمين وطلبهم في عقر ديارهم، قال ابن تيمية في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»: «.. فإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداءً ودفعًا، فلأن يجب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداءً ودفعًا لمن يطعن فيه بطريق الأولى والأحرى».

لا يُكتفى في مواجهة هذه البذاءات الصليبية بالشجب والتنديد واستجداء الإعتذار وطلب المقاطعة.. فقد فُتحت عمورية بسبب امرأة مسلمة انتُهك عرضها

فاستصرخت، ولما علم المعتصم ركب فرسه وانطلق يعدو والجيش على إثره، فتح عمورية ثم قال: أين التي تستصرخ. وقال لإمبراطور الروم جئتك بجيش أوله عندك وآخره عندي.

وقال هارون الرشيد مخاطبا ملك الروم: أما بعد، فمن هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، فإن الأمر ما ترى لا ما تسمع. وكان نقفور قد همّ بمنع الجزية وإيذاء من أسلم عنده.

ولم يقعد صلاح الدين الأيوبي بعد موقعة حطين حتى أتى بالأمير الذي سبّ رسول الله ﷺ وقطع رقبته.

ومن قبل بعثَ رسول الله ﷺ إلى هرقل ملك الروم يقول له: «أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين» أي الفلاحين الأكارين، وخيّره بين أمور ثلاثة: إما الإسلام أو الجزية عن يد وهو صاغر أو القتال.

وقد لا نستطيع هذا ولا ذاك، والواجبات تسقط بالعذر والعجز، وعدم الاستطاعة، وشرع الله مصلحة كله، وليس المقدور عليه كالمعجوز عنه، ولكن ليس لنا أن نستمرئ حالة الضعف والاستخزاء، فالواجب أن نأخذ بأسباب القوة وأن نعود لتطبيق شريعة ربنا ونصل الأرض بالسماء والدنيا بالآخرة سوآء كنا حكامًا أو محكومين، فلا يفلّ الحديد إلاّ الحديد.

﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ (البقرة: ٢٥١)، فإن أبينا ذلك فلنعلم أن لله جنود السموات والأرض، ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨) ﴾ (محمد: ٣٨)، ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) ﴾ (الأنعام: ٨٩). ولله أوس آخرون وخزرج يثأرون لنبيهم، وينتقمون لدينهم.

ونحن نبشر بابا الفاتيكان بفتح روما عاصمة إيطاليا اليوم على أيدي المسلمين؛ فقد سُئل النّبيّ ﷺ :

أقسطنطينيـة تُفتح أولاً أو روميـة ؟ قال: «**القسطنـطينية تُفتح أولاً**» وقد تمّ الفـتح الأول على يد محمـد الفاتح العثمـاني بعد ثمانمائة سنة من إخبـار الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليـه، وستُفتح رومـية وهي روما بإذن الله تعالى، ولابد، ولتعـلمن نبأه بعد حين، والله غالب على أمره ومُتمّ نوره ولو كره المشركون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مجمع قسطنطين وقانون الإيمان

كان هذا المجمع في نيقية سنة ٣٢٥م في عشرين من مايو، وقد عُقد بأمر الإمبراطور الروماني (قسطنطين) وقد حضره بنفسه، وحشر له البطارقة والأساقفة من سائر الآفاق، للاتفاق على عقيدة واحدة حتى اجتمع منهم ألفان وثمانية وأربعون أسقفًا وكانوا مختلفي الآراء، ومتبايني الأهواء، فكثر لغطهم.

ولم يتفق منهم إلا (٣١٨ أسقفًا) على رأي، وناظروا فيه بقية الأساقفة، وظهروا عليهم، وكان السبب في عقد هذا المجمع قول آريوس «أن يسوع المسيح ليس أزليًا، وإنما هو مخلوق من الآب، وأن الابن ليس مساويًا للآب في الجوهر»، وقرر المجمع تحريم بدعة آريوس، وحرق كتبه، وقد فصل المجمع

أيضًا في مشكلة تحديد اليوم الذي يقع فيه عيد الفصح، أي: يوم القيامة، وفي مشكلة معمودية الهراطقة (المبتدعة) العائدين إلى المسيحية، وفي غير ذلك من المسائل، وقد عقد الملك لهؤلاء الأساقفة مجلسًا خاصًا جلس في وسطه، ودفع إليهم خاتمه، وسيفه، وقضيبه، وقال لهم: سلطتكم على المملكة، فاصنعوا ما فيه قوام دينكم، وصلاح أمتكم، فباركوه عليه، وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية، وذب عنه، ودفعوا إليه الأمانة التي اتفقوا على وضعها، فلا يكون عندهم نصراني من لم يقر بها، ولا يتم قربان إلا بها، وهذه الأمانة يسميها النصارى الآن (قانون الإيمان) ونصها ما يلي:

«نؤمن بالله الواحد الآب مالك كل شيء، صانع ما يُرى وما لا يُرى، وبالرب الواحد يسوع ابن الله، الواحد بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل

العوالم كلها وليس بمصنوع، إله حق، من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء، الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنسانًا، وحمل به، ثم ولد من مريم البتول، وأولم، وأوجع، وقتل، وصلب، ودفن، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء مرة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه روح محيية، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قدسية جايلتقية، وبقيامة أبداننا، والحياة الدائمة أبد الآبدين».

فصرحوا فيها بأن المسيح رب، وأنه ابن إله، وأنه بِكْرُه ليس له ولد غيره، وأنه ليس بمصنوع .. أي ليس

بعبد مخلوق، بل هو رب خالق، وأنه إله حق، استل وولد من إله حق، وأنه مساوٍ لأبيه في الجوهر، وأنه بيده أتقنت العوالم، وهذه اليد التي أتقنت العوالم بها عندهم هي التي ذاقت حر المسامير كما صرحوا به في كتبهم، ثم تعددت مجامعهم، وفي كل مرة يعلنون تمسكهم بهذه العقيدة، ويزيدون عليها ضلالات، ويلعنون، ويكفرون كل من خرج عليها من أساقفتهم.

ففي عام ٤٥٠م قرر مؤتمر الكنيسة البزنطية تحت رعاية الإمبراطور بولشير المنعقد بمدينة (خلقيدون) بآسيا الصغرى اعتبار نسطور وجماعته خارجين عن الجماعة المسيحية المؤمنة، ومستحقين للعنة الرب والمسيح بسبب أنهم أنكروا وجود ثلاث ذوات مستقلة، وقالوا: «إن هذه الألفاظ (الله، والكلمة، والروح القدس) ترجع مدلولاتها إلى شيء واحد، ولا تدل على ذوات ثلاث

في واقع الأمر، بل الله هو الذات الواحدة، وهو وحده أصل العالم، وكلمته على معنى علمه، والروح القدس على معنى القوة المدبرة حالان، أو اعتباران لذاته».

وفي المجمع التاسع، وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية، وبترك أنطاكية، ولم يكن لبيت المقدس والإسكندرية بترك، لعنوا من تقدم من القديسين الذين خالفوهم، وسموهم واحدًا واحدًا وهم جماعة، ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة، ولما لعنوا هؤلاء جلسوا فخلصوا الأمانة المستقيمة بزعمهم، فقالوا: نؤمن بأن الواحد من اللاهوت الابن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الآب الإله في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح لطبيعتين تامتين وفعلين، ومشيئتين في أقنوم واحد، يعرف تامًا بلاهوته، تامًا بناسوته، وشهدت كما شهد مجمع الخيلقدونية على ما

سبق أن الإله الابن في آخر الأيام اتحد مع العذراء السيدة مريم القديسة جسدًا إنسانًا بنفسين، وذلك برحمة الله تعالى محب البشر، ولم يلحقه اختلاط، ولا فساد، ولا فرقة، ولا فصل، ولكن هو واحد يعمل بما يشبه الإنسان أن يعمله في طبيعته، وما يشبه الإله يعمل في طبيعته الذي هو الابن الوحيد، والكلمة الأزلية المتجسدة إلى أن صارت في الحقيقة لحمًا، كما يقول الإنجيل المقدس من غير أن تنتقل عن محلها الأزلي، وليست بمتغيرة، ولكنها بفعلين، ومشيئتين، وطبيعتين: إلهي وإنسي، الذي بهما يكون القول الحق، وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها مشيئتين غير متضادتين، ولا متضارعتين، ولكن مع المشيئة الإنسية في المشيئة الإلهية القادرة على كل شيء.

ثم كان لهم مجمع عاشر لما مات ملك قسطنطينية،

وولي بعده ابنه، واجتمع فريق المجمع السادس، وزعموا أن اجتماعهم كان على الباطل، فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفًا، فثبتوا قول المجمع السادس، ولعنوا من لعنهم وخالفهم، وثبتوا قول المجامع الخمسة، ولعنوا من لعنوا، وانصرفوا، فانقرضت هذه المجامع والحشود وهم علماء النصارى وقدماؤهم، وناقلوا الدين إلى المتأخرين، وإليهم يستند من بعدهم، وقد اشتملت هذه المجامع العشرة المشهورة على زهاء أربعة عشر ألفًا من الأساقفة والبتاركة والرهبان، كلهم يكفر بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا، فدينهم إنما قام على اللعنة بشهادة بعضهم على بعض، وكل منهم لاعن ملعون.

النصارى أشد الأمم اختلافا
في معبودها ونبيها ودينها

يقول الإمام ابن القيم[١]: «فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر، ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهبًا مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث وعبادة الصليب وأن المسيح ابن مريم ليس بعبد صالح ولا نبي ولا رسول، وأنه إله في الحقيقة وأنه هو خالق السموات والأرض، والملائكة، والنبيين، وأنه هو الذي أرسل الرسل، وأظهر على أيديهم المعجزات والآيات، وأن للعالم إلهًا

(١) «هداية الحيارى» (ص٣٠٧) وما بعدها.

هو آب والد، لم يزل، وأن ابنه نزل من السماء، وتجسم من روح القدس ومن مريم، وصار وهو ابنها الناسوتي إلهًا واحدًا، ومسيحًا واحدًا، وخالقًا واحدًا، ورازقًا واحدًا، وحبلت به مريم وولدته، وأخذ وصلب، وألم ومات، ودفن وقام بعد ثلاثة أيام، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، قالوا: والذي ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله، وهو ابن الله، وهو كلمة الله، فالقديم الأزلي خالق السموات والأرض هو الذي حبلت به مريم، وأقام هناك تسعة أشهر، وهو الذي ولد ورضع، وفطم، وأكل وشرب، وتغوط، وأخذ، وصلب، وشد بالحبال، وسمرت يداه، ثم اختلفوا: فقالت (اليعقوبية): إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين: إحداهما - طبيعة الناسوت، والأخرى - طبيعة اللاهوت، وأن هاتين الطبيعتين تركبتا

فصار إنسانًا واحدًا، وجوهرًا واحدًا، وشخصًا واحدًا، فهذه الطبيعة الواحدة، والشخص الواحد هو المسيح، وهو إله كله، وإنسان كله، وهو شخص واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين، وقالوا: إن مريم ولدت الله، وأن الله سبحانه قُبض، وصُلب، وسمر، ومات، ودُفن، ثم عاش بعد ذلك[1].

وقالت (الملكية) وهي الروم نسبة إلى دين الملك: إن الابن الأزلي الذي هو الكلمة تجسدت من مريم تجسدًا كاملاً كسائر أجساد الناس، وركبت في ذلك الجسد نفسًا كاملة بالعقل، والمعرفة، والعلم كسائر أنفس الناس، وأنه صار إنسانًا بالجسد والنفس الذين هما من جوهر الناس، وإلهًا بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم

(١) وهذا مذهب النصارى الأرثوذكس، وهؤلاء عناهم سبحانه بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: ٧٢).

يزل، وهو إنسان بجوهر الناس مثل إبراهيم وموسى وداود، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل، وصح له جوهر الناسوت الذي لبسه من مريم، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وطبيعتان، ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته مشيئة مثل الآب، وله بناسوته مشيئة إبراهيم وداود.

وقالوا: إن مريم ولدت (المسيح)، وهو اسم تجمع اللاهوت والناسوت، وقالوا: إن الذي مات هو الذي ولدته مريم، وهو الذي وقع عليه الصلب والتسمير، والصفع والربط بالحبال، واللاهوت لم يمت، ولم يألم، ولم يدفن.

قالوا: وهو إله تام بجوهر لاهوته، وإنسان تام بجوهر ناسوته، وله المشيئتان: مشيئة اللاهوت، ومشيئة الناسوت. . .

فأتوا بمثل ما أتى به اليعقوبية من أن مريم ولدت الإله، إلا إنهم بزعمهم نزهوا الإله عن الموت، وإذا تدبرت قولهم[1] وجدته في الحقيقة هو قول اليعقوبية مع تنازعهم وتناقضهم فيه، فاليعقوبية أطرد لكفرهم: لفظًا، ومعنى.

وأما (النسطورية) فذهبوا إلى القول بأن المسيح شخصان وطبيعتان، لهما مشيئة واحدة، وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما إرادة واحدة، واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصانا، ولا يمتزج بشيء، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بذلك إلهًا وإنسانًا، فهو الإله بجوهر اللاهوت الذي لا يقبل الزيادة والنقصان، وهو إنسان بجوهر الناسوت الذي يقبل الزيادة والنقصان.

---

(١) وهذا قول النصارى الكاثوليك.

وقالوا: إن مريم ولدت المسيح بناسوته، وإن اللاهوت لم يفارقه قط.

وكل هذه الفِرَق استنكفت أن يكون المسيح عبد الله، وهو لم يستنكف من ذلك، ورغبت به عن عبودية الله، وهو لم يرغب عنها بل أعلى منازل العبودية عبودية الله، ومحمد وإبراهيم خيرٌ منه، وأعلى منازلهما تكميل مراتب العبودية، فالله رضيه أن يكون له عبدًا، فلم ترض المثلثة بذلك!.

وقالت (الآريوسية) منهم وهم أتباع آريوس: إن المسيح عبد الله كسائر الأنبياء والرسل، وهو مربوب مخلوق مصنوع، وكان النجاشي على هذا المذهب.

وإذا ظفرت المثلثة بواحد من هؤلاء قتلته شر قتلة، وفعلوا به ما يفعل بمن سب المسيح وشتمه أعظم سب.

الفاتيكان يبرئ اليهود من دم المسيح!

من المعلوم أن اليهود هم شيوخ النصارى في نقل الصلب وأمره، وإلا فهذا الحدث لم يحضره أحد من النصارى، وإنما زعمه اليهود وقالوا: قتلناه، وصلبناه، وأخبار النصارى وأخبار اليهود عن المسيح لا يُلتفت إليها لاختلافهم في شأنه أشد الاختلاف وعدم تيقنهم لجميع أمره، ولذلك قلنا للنصارى: فإن صدقتم اليهود في الصلب فصدقوهم في سائر ما ذكروه، وإن كذبتموهم فيما نقلوه عنه فما الموجب لتصديقهم في الصلب، وتكذيب أصدق الصادقين الذي قامت البراهين القطعية على صدقه أنهم ما قتلوه وما صلبوه، بل صانه الله وحماه، وحفظه، وكان أكرم على الله، وأوجه عنده من أن يبتليه بما تقولون أنتم واليهود.

والنصرانية تقوم على عقيدة الصلب والفداء، ولا ندري ما هي حالة القوم، وما هي عقيدتهم بعد أن استصدر اليهود وثيقة من الفاتيكان في روما تبرئ ساحتهم من قتل المسيح؟! وهل سيتُهم الفاتيكان بالعمالة لليهود؟!، وهل التآخي معهم من الممكن أن يأتي على حساب العقيدة في أساسها وصلبها؟! وما موقف الأرثوذكس وغيرهم من طوائف النصارى من فعلة الفاتيكان الكاثوليكي؟ ومَن قتل المسيح إذن في اعتقاد الكاثوليك والفاتيكان، وهل هم مازالوا نصارى؟!

عمومًا نحن كمسلمين نؤمن أن المسيح لم يُقتل، قال تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (النساء: ١٥٨).

وأن الله تعالى ألقى شبه المسيح على يهوذا الخائن،

فقتله اليهود ظانين أنهـم قتلوا المسيح قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء: ١٥٧)، .

وهو الآن في السـمـاء ينتظر الإذن بالنزول، فـينزل قرب قـيام الساعة: يـكسر الصليب، ويقـتل الخنزير، ويضع الجزية، ويحكم بحكم الإسـلام، وهو ما سنبينه فيما بعد بالتفصيل بإذن الله.

لا تغلوا في دينكم غير الحق

الغلو هنا مجاوزة الحد، وقد ورد التحذير منه في أكثر من موضع من كتاب الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾

(المائدة: ٧٧).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾

(النساء: ١٧١).

ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربًا، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر، ولذلك قال مطرف بن عبد الله: الحسنة بين سيئتين.

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى، وقولوا: عبد الله ورسوله».

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ (النساء: ١٧١)، أي لا تقولوا: إن له شريكًا أو ابنًا.

ثم بَيَّنَ تعالى حال عيسى عليه السلام وصفته، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ (النساء: ١٧١).

ولم يذكر سبحانه امرأة وسماها باسمها في كتابه إلا مريم ابنة عمران، فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين

موضعًا لحكمة ذكرها بعض الأشياخ، فإن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في الملأ، ولا يبتذلون أسماءهن بل يكنون عن الزوجة بالعرِس، والأهل، والعيال، ونحو ذلك، فإن ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن، ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر، والتصريح بها.

فلما قالت النصارى في مريم ما قالت وفي ابنها، صرح الله باسمها، ولم يكن عنها بالأُمُومة والعبودية التي هي صفة لها، وأجرى الكلام على عادة العرب في ذكر إمائها، ثم اعتقاد أن عيسى عليه السلام لا أب له واجب، فإذا تكرر اسمه منسوبًا للأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه، وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله، وقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَاهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾، أي: هو مكون بكلمة

﴿ كن ﴾، فكان بشرًا من غير أب، والعرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان صادرًا عنه، وقيل: ﴿ كَلِمَتُهُ ﴾ بشارة الله تعالى مريم ورسالته إليها على لسان جبريل، وذلك قوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ (آل عمران: ٤٥).

أو أن الكلمة ههنا بمعنى الآية، قال الله تعالى: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ (التحريم: ١٢)، ﴿ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ (لقمان: ٢٧).

وكان لعيسى أربعة أسماء: المسيح، وعيسى، وكلمة، وروح.

قوله تعالى: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾، هذا الذي أوقع النصارى في الإضلال، فقالوا: عيسى جزء منه؛ فجهلوا وضلوا، وعنه أجوبة:

الأول - قال أبي بن كعب: خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق، ثم ردها إلى صلب آدم، وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام، فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم فكان منه عيسى عليه السلام، فلهذا قال: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ .

وقيل: هذه الإضافة للتفضيل وإن كان جميع الأرواح من خلقه، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ (الحج: ٢٦) .

وقيل: قد يسمى من تظهر منه الأشياء العجيبة روحًا، وتضاف إلى الله تعالى فيقال: هذا روح من الله، أي: من خلقه، كما يقال في النعمة: إنها من الله، وكان عيسى يبرئ الأكمه، والأبرص، ويحيي الموتى، فاستحق هذا الاسم.

وقيل: يسمى روحًا بسبب نفخة جبريل عليه السلام،

ويُسمى النفخ روحًا، لأنه ريح يخرج من الروح، وقد ورد أن جبريل نفخ في درع مريم فحملت منه بإذن الله.

وقيل: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: من خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية:١٣)، أي: من خلقه.

وقيل: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: رحمة منه، فكان عيسى رحمة من الله لمن اتبعه.

وقيل: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: برهان منه، وكان عيسى برهانًا وحجة على قومه.

وفي الحديث عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: **«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»**[1].

(١) أخرجاه في الصحيحين.

قال النووي: هذا حديث عظيم جليل الموقع، وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج عن ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها، فاقتصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يباين به جميعهم. اهـ.

ومعنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥)، وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمنت نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له

وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلهًا وحده، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا، وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله بالحب، والخضوع، والانقياد له وحده لا شريك له، فيجب إفراد الله تعالى بها: كالدعاء، والخوف، والمحبة، والتوكل، والإنابة، والتوبة، والذبح، والنذر، والسجود، وجميع أنواع العبادة، فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئًا مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله فهو مشرك، ولو نطق بـ (لا إله إلا الله)، إذ لم يعمل بما تقتضيه: من التوحيد، والإخلاص.

استدلالهم بكلمة الآب والرب والإله والسيد على إلهية المسيح

جميع ما تستدل به النصارى على إلهية المسيح من ألفاظ وكلمات في الكتب فإنها مشتركة بين المسيح وغيره كتسميته: أبًا، وكلمة، وروح حق، وإلهًا، وكذلك ما أطلق من حلول روح القدس فيه، وظهور الرب فيه، أو في مكانه، فإن جاز الاستدلال بذلك على إلهية المسيح فاستدلوا بها أيضًا على ألوهية غيره.

وكما قالوا: ما احتج صاحب بدعة على بدعته بدليل إلا وكان في الدليل ما يرد عليه، ويدحض بدعته.

- ومن أمثلة ذلك استدلالهم بقول المسيح: «إني

ذاهب إلى أبي» (يوحنا ٢٠:١٧)، «وإني سائل أبي» (يوحنا ١٧:٩)، فسمى نفسه ابن الله، واستنتجوا هم أن ابن الإله إله، قلنا لهم: المقدمة فاسدة، والنتيجة أفسد، وإلا فاجعلوا أنفسكم كلكم آلهة، ففي الأناجيل التي بين أيديكم قول المسيح: «أذهب إلى أبي وأبيكم» (يوحنا ٢٠:١٧)، وفيها «لا تدعوا لكم أبًا على الأرض فإن أباكم واحد الذي في السماء» (متى ٢٣:٨)، وقوله: «أبي وأبوكم الذي في السموات» وهذا كثير في الإنجيل، وهو يدل على أن الأب عندهم الرب، ثم أناجيلكم التي بين أيديكم كلها صريحة أظهر صراحة بأن تلاميذ المسيح كمتى ولوقا ما ادعوا له إلا ما ادعاه لنفسه من أنه عبد.

■ ومن أمثلة ذلك: «هذا عبدي الذي اصطفيته، وحبيبي الذي ارتاحت نفسي له» (متى ١٢-٧١).

وصعود المسيح إلى السماء لا يخرجه عن العبودية كصعود إلياس وإدريس، ورسول الله ﷺ، بل وصعود الملائكة، وأوراح المؤمنين بعدما فارقتها الأبدان وتسمية الأنبياء له: آلهًا، وربًا، وسيدًا، ونحو ذلك، فلم يزل كثير من أسماء الله ـ عزَّ وجلَّ ـ تقع على غيره عند جميع الأمم وفي سائر الكتب، كتسمية النبي ﷺ: بالرءوف، الرحيم، كما سمى نفسه سبحانه بذلك، ويقال: رب المنزل، ورب الإبل.

وقد قال أشعياء: «عرف الثور من اقتناه، والحمار مربط ربه، ولم يعرف بنو إسرائيل» (الإصحاح الأول).

وفي السفر الثاني من التوراة في قصة الخروج من مصر: «إني جعلت إلهًا لفرعون»، وفي المزمور الثاني والثمانين لداود عليه السلام: «لقد ظننت أنكم آلهة، وأنكم أبناء الله كلكم»، واستدلالهم بقول دانيال عليه السلام: «يأتي

المسيح ويخلص الشعوب والأمم».

قالوا: ومن يطيق تخليص الأمم غير الإله التام، قيل لكم: فاجعلوا جميع الرسل آلهة، فإنهم خلصوا الأمم من الكفر والشرك، وخلصوهم من النار بإذن الله وحده، فإن وجبت بذلك الإلهية لعيسى، فموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أحق بها منه، والابن الذي يقوم لداود ويسمى بالإله فهو اسم لمخلوق مصنوع مولود لرب العالمين، وخالق السموات والأرضين.

وكذلك ما في التوراة: «جاء الله من طور سيناء، وأشرف من ساعير، واستعلن من جبال فاران»، فهذا لا يدل على أن موسى ومحمدًا إلهان، والمراد بهذا مجيئ دينه، وكتابه، وشرعه، وهُداه، ونوره.

وكذلك قـول زكريا في نبوتـه: «ترنمي وافرحي يا بنت صـهـيـون، لأني آتيك، وأحل فـيك، وأتراءى، وتؤمن بالله في ذلك اليـوم الأمم الكثيـرة، ويكونون له شعـبًا واحدًا، ويحل هو فـيهم، ويعـرفون أني أنا الله القوي الساكن فيك، ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من يهوذا، ويملك علـيهم إلى الأبد» (سفـر زكريا ٢-١٠) وما بعدها.

فـهل أوجبـتم الإلهـيـة بهذا لإبراهيـم وغيـره من الأنبيـاء، فإن عند أهل الـكتاب وأنتم مـعهم: «أن الله تجلى لإبراهيم، واستعلن له وتراءى».

وأمـا قوله: «وأحل فـيك» ليس مـعناه حلول ذاته سبـحانه في بيت المقدس، فـإن الله لا تسعه السـموات والأرض، ثم المسـيح مـا دخـل بيت المقـدس إلا وهو مغلوب مقهور، ومُسْتَخْفٍ في غالب أحواله.

وعمومًا فلا مستند لهم في هذه النصوص والألفاظ التي احتجوا بها على دعوى ربوبية وألوهية عيسى عليه السلام، وقد أجبنا عليها على فرض صحتها وصحة ترجمتها، فإن الحكم على شيء فرع عن تصوره، والتفسير فرع التصحيح كما قرر العلماء.

الكتـاب (المقـدس)؟؟؟

التقديس: التطهير، وتقدس: تطهر، قال تعالى على لسان ملائكته: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (البقرة: ٣٠)، أي نطهر أنفسنا لك.

فمادة الكلمة دالة على التنزيه والتطهير في اللغة، والقدسي: نسبة إلى القدس، وهي نسبة تدل على التعظيم، والكتاب المقدس لابد أن يكون منزهًا عن التحريف والتبديل، مطهرًا من الشركيات والكفريات، داعيًا إلى الفضيلة، ناهيًا عن الرذيلة، فما هو حظ الأناجيل من ذلك حتى توصف بهذا الوصف؟، وللإجابة على هذا السؤال نقول. إن الرأي استقر على أربعة أناجيل، وأخذت عن أربعة نفر: اثنان منهم لم

يريا المسيح أصلاً (وهما مرقص ولوقا)، واثنان رأياه، واجتمعا به (وهما متى ويوحنا)، وكل منهم يزيد وينقص، ويخالف إنجيله إنجيل أصحابه في أشياء، وفيها ذكر القول ونقيضه، ففيه أنه قال: «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة، ولكن غيري يشهد لي» يوحنا (٣١).

وفي موضع آخر: «إن كنت أشهد نفسي فشهادتي حق، لأني أعلم من أين جئت وإلى أين أذهب» يوحنا (١٤:٨)، وفيه أنه لما استشعر بوثوب اليهود عليه قال: «قد جزعت نفسي الآن فماذا أقول؟ يا أبتاه سلمني من هذا الوقت» متَّى (٢٦: ٣٨-٣٩).

وأنه لما رفع على خشبة الصلب صاح صياحًا عظيمًا وقال: «يا إلهي لِمَ أسلمتني؟» متَّى (٢٧:٤٦).

يقول ابن القيم: فكيف يجتمع هذا مع قولكم: أنه

هو الذي اختار إسلام نفسه إلى اليهود ليصلبوه، ويقتلوه رحمة منه بعباده حتى فداهم بنفسه من الخطايا، وأخرج بذلك آدم، ونوحًا، وإبراهيم، وموسى، وجميع الأنبياء من جهنم بالحيلة التي دبرها على إبليس؟ وكيف يجزع إله العالم من ذلك؟ وكيف يسأل السلامة منه وهو الذي اختاره ورضيه؟! وكيف يشتد صياحه ويقول: «يا إلهي لم أسلمتني» وهو الذي أسلم نفسه؟! وكيف لم يخلصه أبوه مع قدرته على تخليصه وإنزال صاعقة على الصليب وأهله، أم كان ربًا عاجزًا مقهورًا مع اليهود؟!.

وفيه أيضًا: «أن اليهود سألته أن يظهر لهم برهانًا على أنه المسيح فقال: تهدمون هذا البيت - يعني بيت المقدس - وأبنيه لكم في ثلاثة أيام، فقالوا له: «بيت مبني في ست وأربعين سنة تبنيه أنت في ثلاثة أيام؟»

يوحنا (٢ : ١٤)، وما بعدها، ثم ذكرتم في الإنجيل أيضًا: «أنه لما ظفرت به اليهود، وحمل إلى بلاط عامل قيصر، واستدعيت عليه بينة أن شاهدي زور جاءا إليه وقالا: «سمعناه يقول: أنا قادر على بنيان بيت المقدس في ثلاثة أيام» متَّى (٢٦ : ٦١).

فيالله العجب كيف يدعي أن تلك المعجزة والقدرة له ويدعي أن الشاهدين عليه بها شاهدا زور؟!

وفيه أنه قال: «لا تحسبوا أني قدمت لأصلح بين أهل الأرض، لم آت لصلاحهم، ولكن لألقي المحاربة بينهم، إني قدمت لأفرق بين المرء وابنه، والبنت وأمها حتى يصير أعداء المرء أهل بيته» متَّى (١٠ : ٣٤).

ثم فيه أيضًا: «أنما قدمت لتحيوا، وتزدادوا خيرًا، وأصلح بين الناس» يوحنا (٥ : ٣٩)، وأنه قال: «من لطم خدك اليمين فانصب له الآخر» متَّى (٥ : ٣٩).

ساقط من الأصل

يقـول ابن القـيـم مـا نصـه: «والمقـصـود أن هذا الاضطراب في «الإنجـيل» يشهد بأن الـتغيـير وقع فـيه قطـعًـا، ولا يمـكن أن يكـون ذلك من عنـد الله، بل الاختلاف الكثير الذي فـيه يدل على أن ذلك الاختلاف من عند غير الله، وأنت إذا اعتبرت نسخه ونسخ التوراة التي بأيدي اليهود، والسامرة، والنصـارى رأيتها مختلفة اخـتلافًـا يقطع من وقف عليـه بأنه من جهـة التغـيـيـر والتبديل» اهـ. فإذا أضـفـت إلى ذلك ما سبق أن ذكرناه علمت الوصف الحقيقي الذي يليق بالكتاب.

مجتمع القديسين؟!؟

كثيرًا ما اعترتني الدهشة وأنا أقرأ نصًا لنصراني أن العزاء فيه أن روحه تحلق وتسبح في الملكوت، وأنه انتقل من الأرض إلى الأمجاد السماوية!!! ولكن سرعان ما تزول الدهشة عندما أتذكر قول الله تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ١١١).

وقوله سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ (المائدة: ١٨).

ووصف الإنسان بأنه قديس أو مقدس فيه نوع من المغالاة في الأشخاص، ورجم بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله، فبواطن العباد وسرائرهم أمرها إلى الله،

ساقط من الأصل

﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠)، وقال جل وعلا: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (الإسراء: ٥٧).

وقد تضافرت نصوص الشريعة على المعنى الذي ذكرناه، فإذا انتقلنا إلى دين النصرانية علمت أنهم أخذوا دينهم عن أصحاب المجامع، وكان من أعظمها المجمع الأول في عهد قسطنطين الرومي ابن هيلانة الحرانية الفندقية، وفي زمنه بدل دين المسيح وهو الذي أشاد دين النصارى المبتدع، وقام به وقعد، وكان عدتهم زهاء ألفي رجل، فقرروا تقريرًا، ثم رفضوه، ولم يرتضوه، ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً منهم، والنصارى يسمونهم الآباء، فقرروا هذا التقرير الذي هم عليه اليوم، وهو أصل الأصول عند جميع طوائفهم، لا يتم لأحد منهم نصرانية إلا به، ويسمونه «سنهورس»

وهي «الأمـانة» وهذه الأمانة هي أعـظم خيـانة للدين، فقد امتلأت كفرًا وغلوًا.

قـالوا: «وعندنا أن المسيح ابـن آدم، وهو ربه، وخالقه، ورازقـه، وابن ولده إبراهيم، وربه، وخالقه، ورازقـه، وابن إسرائيل، وربه، وخـالقه، وابن مـريم، وربها، ورازقها، وخالقـها»، وقالوا: «فالذي حبلت به مريم هو الله، وابن الله، وكلمة الله».

قـالوا: «وهو الذي ولُد، ورضع، وفطم، وأخـذ، وصلب، وصـفع، وكتـفت يداه، وسمـر، وبصق في وجهه، ومات، ودفن، وذاق ألم الصلب، والتـسمير، والقتل، لأجل خلاص النصـارى من خطاياهم»، قالوا: «وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنبي، ولا عبد صالح، بل هو رب الأنبيـاء، وخالقهم، وباعثـهم، ومرسلهم، وناصرهم، ومؤيدهم، ورب الملائكة» وقالوا: «فمنا من

يطلق في لفظه وعباراته حقيقة هذا المعنى فيقول: مريم حبلت بالإله، وولدت الإله، ومات الإله، ومنا من يمتنع من هذه العبارة لشناعة لفظها، ويعطي معناها، وحقيقتها، ويقول: مريم حبلت بالمسيح في الحقيقة، وولدت المسيح في الحقيقة، وهي أم المسيح في الحقيقة، والمسيح إله في الحقيقة، ورب في الحقيقة، وابن الله في الحقيقة، وكلمة الله في الحقيقة، لا ابن لله في الحقيقة سواه، ولا أب في الحقيقة إلا هو» قالوا: «فهؤلاء يوافقون في المعنى قول من قال: حبلت بالإله، وولدت الإله، وتألم الإله، ومات الإله، وأن هذا كله حل ونزل بالإله الذي هو آب، ولكنا نقول هذا كله نزل بالمسيح، والمسيح عندنا وعند طوائفنا إله تام، من إله تام، من جوهر أبيه، فنحن وإخواننا في الحقيقة شيء واحد، لا فرق بيننا إلا في العبارة فقط».

قالوا: «فهذا حقيقة ديننا وإيماننا، والآباء والقدوة قد قالوه قبلنا، وسنوه لنا، ومهدوه، وهم أعلم بالمسيح منا» اهـ.

يقول عبد الرحمن عبد الخالق: «وهكذا استطاع قسطنطين أن يجعل دين القلة وهو الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا هو الدين الرسمي، وينفي الكثرة المخالفة لألوهية المسيح ويضطهدها، وزاد قسطنطين أن أعطى خاتمه وسيفه إلى هؤلاء، وسلطهم على من يخالفهم في الاعتقاد، هذا مع إن قسطنطين هذا لم يعلن الدخول في المسيحية إلا وهو على فراش الموت.

وهكذا نشأ الحكم الكهنوتي الذي يحتكر فهم الدين وتفسيره، ويحرم من الجنة من يخالفه، ويطرد من الكنيسة والنصرانية من يضاده، وكان هذا من أعظم البلاء على دين النصرانية حيث فُرض عليهم الانحراف، والخروج عن تعاليم المسيح ﷺ، وأمر هذا

المجمع بتحريق جميع الكتب التي تخالف العقيدة التي خرج بها مجمع نيقية» اهـ.

وتوالت مجامع الأساقفة والبتاركة وكلهم لاعن وملعون، يكفر من خالفه، فهل أورثتهم هذه العقيدة المذكورة تزكية وطهرًا؟! وهل بمثلها يصير المجتمع قديسيًا حقًا؟! وهل يستحق صاحبها أن تنادي عليه الملائكة على أبواب الجنة: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣).

يا قوم: إن السلوك مرآة الفكر، فإذا فسدت العقيدة تخرب السلوك، والاعتراف بالحق فضيلة، وجحده رذيلة، فالتوحيد طهارة، والشرك نجاسة، ولذلك قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: ٢٨)، والعملة الزائفة لا تروج على الله ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١).

دين الأنبياء واحد

وهذا في القرآن مذكور في مواضع كثيرة، وكذلك في الأحاديث الصحيحة مثلما ترجم عليه البخاري فقال: باب ما جاء في أن دين الأنبياء واحد.

وذكر الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنا معشر الأنبياء إخوة لعلات»، ومثل صفته في التوراة: «لن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء، فأفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا»؛ ولهذا وحَّد الصراط والسبيل في مثل قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٦-٧).

ومثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ

ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

والإسلام دين جميع المرسلين، قال نوح عليه السلام: ﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ (يونس: ٧٢).

وقال الله عن سحرة فرعون: ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ﴾ (الأعراف: ١٢٦)، وقال فرعون: ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾

(يونس: ٩٠).

وقال الحواريون: ﴿ آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ (المائدة: ١١١)، وفي السورة الأخرى: ﴿ اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (آل عمران: ٦٤).

وقال يوسف عليه السلام: ﴿ توفني مسلما وألحقني بالصالحين ﴾ (يوسف: ١٠١).

وقال موسى عليه السلام: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٨٤).

وقالت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ٤٤).

وقال عن التوراة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ﴾ (المائدة: ٤٤).

قال ابن تيمية في توحُّد الملة وتعدد الشرائع: وقد قررت في غير هذا الموضع الإسلام العام والخاص، والإيمان العام والخاص، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢).

وأما تنوع الشرائع وتعددها، فقال تعالى لما ذكر القبلة بعد الملة: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة ١٤٤-١٤٨).

فأخبر أن لكل أمة وجهة، ولم يقل: جعلنا لكل أمة وجهة، بل قد يكون هم ابتدعوها، كما ابتدعت النصارى وجهة المشرق، بخلاف ما ذكره في الشرع والمنهاج، فإنه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٤١-٥٠) اهـ.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يحكم بينهم بما أنزل الله إليه، ونهاه أن يأخذ بمنهاج غيره وشرعته، وقال تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨).

والشـرعـة: الشـريـعـة، وهي السنة، والمنهـاج، والطريق، والسـبيل، قـال سبحـانه: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية: ١٨)، ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

(الأعراف: ١٥٧).

وقال في النسخ، ووجوب اتباعهم للرسول: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) ﴾ (آل عمران: ٨١) وقال: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

والتي بعدها إلى غير ذلك من النصوص التي أمروا

فيها بالإيمان بما أنزل الله على محمد ﷺ.

وكما أمر سبحانه الأنبياء جميعهم بالإسلام، أمرنا بملازمة الإسلام إلى الممات، وأن نعتصم بحبله جميعًا ولا نتفرق.

ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا من بعد ما جاءهم البينات وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (آل عمران: ١٠٢-١٠٣).

إلى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران ١١٠)، وذكر أنه تبيض وجوه، وتسود وجوه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة».

وذكر أنه يقـال لهم: ﴿أكفـرتم بعـد إيمانكم﴾ وهذا عائد إلى قـوله تعالى: ﴿وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فأمـر بملازمة الإسلام، وبين أن المسـودة وجوههم أهل التفرق والاختلاف يقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم.

النصارى آمنوا بمسيح لا وجود له واليهود ينتظرون المسيح الدجال

قال ابن القيم في كتابه (هداية الحيارى - ص١٣٥): فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذي هو عبد الله، ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعى إلى عبادة نفسه، وأمه، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه الله، وابن الله، وهذا هو آخر المسيح الكذاب لو كان له وجود، فإن المسيح الكذاب يزعم أنه الله، والنصارى في الحقيقة أتباع هذا المسيح.

كما أن اليهود إنما ينتظرون خروجه، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبي الذي بشروا به، فعوضهم الشيطان

بعد مجيئه من الإيمان به انتظارًا للمسيح الدجال.

وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عنه بالباطل...

والنصارى لما أنفوا أن يكون المسيح عبدًا لله تعوضوا من هذه الأنفة بأن رضوا بجعله مصفعة لليهود، ومصلوبهم الذي يسخرون منه، ويهزءون به، ثم عقدوا له تاجًا من الشوك بدل تاج الملك، وساقوه في حبل إلى خشبة الصلب يصفقون حوله، ويرقصون، فلاقوا بتلك الأنفة له من عبودية الله بهذه النسبة له أعظم الذل والضيق والقهر.

وكذلك أنفوا أن يكون للبترك، والراهب زوجة وولد، وجعلوا لله رب العالمين الولد، وكذلك أنفوا أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، ويطيعوا عبده ورسوله، ثم رضوا بعبادة الصليب، والصور المصنوعة بالأيدي في

الحيطان، وطاعة كل من يحرم عليهم ما شاء، ويحلل لهم ما شاء، ويشرح لهم من الدين ما شاء من تلقاء نفسه. . .

إلى أن قال - رحمه الله -: وتأمل قول المسيح: «إني لست أدعكم أيتامًا، لأني سآتيكم عن قريب»، كيف هو مطابق لقول أخيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهما: «**ينزل فيكم ابن مريم: حكمًا، عدلاً، وإمامًا مقسطًا، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية**»، وأوصى أمته بأن: «يقرئه السلام منه من لقيه منهم».

وفي حديث آخر: «**كيف تهلك أمة أنا في أولها، وعيسى في آخرها؟**».

وقد ذكر ابن تيمية في (الجواب الصحيح - ١٨٦جـ٢) ما نصه: «فإنه لا ريب أنه - أي المسيح -

ولد من مريم العذراء التي لم يمسها بشر قط، وأن الله أظهر على يديه الآيات، وأنه صعد إلى السماء، كما أخبر الله بذلك في كتابه، كما تقدم ذكره، فإذا كان هذا مما أخبرت به الأنبياء في النبوات التي عند اليهود لم ينكروا ذلك، وإن كان اليهود يتأولون ذلك على غير المسيح كما في النبوات من البشارة بمحمد ﷺ، فهو حق، وإن كان الكافرون به من أهل الكتاب يتأولون ذلك على غيره».

وذكر قول عزرا الكاهن: «يأتي المسيح، ويخلص الشعوب والأمم».

ثم قال ابن تيمية: وهذا مما لا يتنازع فيه المسلمون، فإنهم يقرون بما أخبر به في كتابه من إتيان المسيح عليه السلام، وتخليص الله به كل من آمن به من الشعوب والأمم إلى بعث محمد ﷺ، فكل من كان مؤمنًا

بالمسيح، متبعًا لما نزل عليه من غير تحريف ولا تبديل، فإن الله خلصه بالمسيح من شر الدنيا والآخرة، كما خلص الله تعالى بموسى من اتبعه من بني إسرائيل، ومن حرَّف وبدَّل فلم يتبع المسيح ومن كذَّب محمدًا ﷺ فهو كمن كذب المسيح بعد أن كان مقرًا بموسى عليه السلام، ولكن هذا النص وأمثاله حجة على اليهود الذين يتأولون ذلك على أن هذا ليس هو المسيح بن مريم، وإنما هو مسيح ينتظر، وإنما ينتظرون المسيح الدجال مسيح الضلالة، فإن اليهود يتبعونه، ويقتلهم المسلمون معه، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، وهكذا قال في النبوة الثانية التي ذكروها عن (أرميا) النبي عليه السلام. اهـ.

وقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون

ألفًا عليهم الطيالسة»، وفي رواية للإمام أحمد: **«سبعون ألفًا عليهم التيجان»**.

وقد ورد في الأخبار أن المسيح عليه السلام عند نزوله يكون الدجال متوجهًا نحو بيت المقدس، فيلحق به عيسى عليه السلام عند باب (لُدٍّ) بفلسطين فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح، فيقول له عيسى عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تفوتني، فيتداركه عيسى عليه السلام، فيقتله بحربته، وينهزم أتباعه، فيتبعهم المؤمنون، فيقتلونهم حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود.

مآخذ البروتستانت على البابا والكنيسة

اعتبر البروتستانت أن التعاليم، والاحتفالات، والخرافات الوثنية قد دمجت بالإيمان والعبادة في ديانة أتباع المسيح الاسميين، فقد وافق المسيحيون على اتحاد الوثنية بالمسيحية، ودخل عبدة الأصنام الكنيسة متمسكين بأصنامهم، فغيروا أصنامهم إلى صور المسيح، والعذراء، والقديسين، ولتسهيل عملية دخول الوثنيين إلى الكنيسة أدخل تدريجيًا إلى العبادة المسيحية كثيرًا من التعاليم الكاذبة، والطقوس الخرافية، وعبادة الصور، والذخائر.

ومرسوم المجلس العام (المجلس الثاني لنيس سنة ٧٨٧م) أقر نهائيًا هذا النظام المسيحي الوثني.

ولكي تكمل عملها المدنس للمقدسات كما يرى

البروتستانت، تجرأت روما على أن تحذف الوصية الثانية من شريعة الله التي تنهى عن عبادة التماثيل، وقسمت الوصية العاشرة إلى اثنين لكي يبقى العدد كاملاً قالوا: عبث الشيطان أيضًا بالوصية الرابعة، وعمد إلى إغفال يوم السبت القديم الذي باركه الرب، وقدسه (تكوين ٢: ٢، ٣) ومجد وعظم بدلاً منه العيد الذي كان يحفظه الوثنيون يوم الشمس المكرم، وذكروا أنه في أوائل القرن الرابع أصدر الإمبراطور قسطنطين مرسومًا صار يوم الأحد بموجبه عيد عام في كل أنحاء الإمبراطورية، وكان يوم الشمس مقدسًا عند رعاياه الوثنيين فصار المسيحيون يكرمونه، وقد حثه على ذلك أساقفة الكنيسة الذين أدركوا أنه إن حفظ الوثنيين والمسيحيين نفس اليوم يسهل على الوثنيين قبول المسيحية الاسمية، إلى أن صار يوم الأحد الوثني يكرم كتشريع

إلهي في حين اعتبر يوم السبت الكتابي أحد الذخائر اليهودية، والذين يكرمونه اعتبروا ملعونين، ومن أهم هذه المآخذ وبالإضافة لذلك:

١ ـ إدعاء البابا للربوبية والألوهية:

وقد اعترض البروتستانت على الادعاءات التي نسبها البابا لنفسه فقد صار: (نائب الله على الأرض) ولقب نفسه: (الرب الإله البابا) وادعى العصمة، وتسلط على الكنيسة والدولة، وطالب الجميع بالولاء، قالوا: وهكذا تحول الإيمان عن المسيح مؤسس الكنيسة الحقيقي إلى بابا روما، وعوضًا عن الإيمان بيسوع المسيح من أجل غفران الخطايا، والخلاص الأبدي اتجه للبابا، وإلى الكهنة، والأساقفة الذين فوضهم.

وعلموا أن البابا هو وسيطهم الأرضي، وبدونه لا يستطيع أحد أن يتقدم إلى الله، وأكثر من هذا، فإنه

بالنسبة إليهم هو في مكان الله، وتتوجب طاعته المطلقة والانحراف عن طاعـته يستوجب أقسى عـقاب، وهكذا انحرفت عقول الناس عن الله إلـى إنسان معرض للخطأ أو الضلال، وذكروا أن الكتاب المـقدس يعارض بصورة مبـاشرة عقيـدة سيادة البابا «للرب إلهك تسـجد، وإياه وحده تعبد» (لوقا ٨: ٤).

لم يذكر الله في كلـمته قط أنه عين أي إنسـان عدا المسيح رأسًا للكنيسة.

الكتاب المقدس يعظم الله، ويضع الإنسان الفاني في مكانه المناسـب، فالبـابا ليـس له سلطان على كنيـسة المسيح إلا ما قد ادعاه اغتصابًا.

وأصبـحت روما الوثنية في نـظر البروتستـانت روما البابـاوية، فزور الرهبـان بعض الكتابات القديمة، وازداد الادعاء عندما أعلن البابا غـريغوريوس السابع في القرن

الحادي عشر عصمة كنيسة روما، قالوا: ثم أعلن ذلك البابا المتعجرف أن له السلطان أن يخلع الأباطرة، وأن أحدًا من الناس مهما علا مقامه لا يحق له أن يلغي أحكامه أما هو فمن حقه أن يلغي أحكام الآخرين.

٢ - الابتهال إلى القديسين وعبادة مريم:

يرى البروتستانت أن تعاليم الفلاسفة الوثنيين لاقت قبولاً من الناس، وكان لها تأثير على الكنيسة، ومن أبرز تلك الضلالات عندهم الاعتقاد بخلود الإنسان الطبيعي، وإحساسه بعد الموت، قالوا: هذا التعليم بنت عليه روما ضلالة الابتهال إلى القديسين، وتمجيد العذراء مريم، وهرطقة العذاب الأبدي لمن يموتون.

٣ - المطهر:

رأوا أن هذا اختراع آخر من ابتكار الوثنية الذي أسمته روما المطهر، واستخدمته في إرهاب الجماهير

المتمسكة بالخرافات، حيث يذهب الذين لا يستحقون الهلاك الأبدي، لكي ينالوا عقابًا عن خطاياهم، ثم بعد أن يتطهروا من نجاستهم يُسمح لهم بالدخول إلى السماء.

٤ ـ القداس:

قالوا: أُستعيض عن فريضة العشاء الرباني بالذبيحة الوثنية المسماة ذبيحة القداس، فلقد ادعى كهنة البابوية أنهم بشعائر سخيفة يمكنهم تحويل الخبز والخمر العاديين إلى نفس جسد ودم المسيح، وبوقاحة ادعوا علنًا أنهم قادرون على أن (يخلقوا الله خالق كل الأشياء).

٥ ـ صكوك الغفران:

ذكر البروتستانت أن الحالة كانت تدعو إلى اختلاق دجل آخر يمكن روما من الاستفادة ماليًا من مخاوف ورذائل تابيعها، وقد وجدت ضالتها في عقيدة صكوك

الغفـران، فقدم البـابا للناس الوعد بالغـفران لخطاياهم الحاضرة، والماضية، والمستقبلة، والعتق من كل الآلام، والعقوبات، كما علموا الشعب أن دفع أموالهم للكنيسة يحـرره من الخطيئـة، ويعـتق أرواح أصدقـائهم الموتى المحبوسة في لهيب النار، والعقاب.

٦ ـ محاكم التفتيش:

في القـرن الثـالث عـشر أقـيـمت أرهب الأنظمـة البـاباوية ـ محـاكم التفـتيش ـ وذكر الـبروتستـانت أن سلطان الظلمـة كـان يعمل مع السلـطة الباباوية، فـفي مجامـعهم السرية سـيطر الشيطان وزبانيته علـى عقول الناس الأشـرار الذين اختـرعوا وسـائل تعذيب أقـسى وأرهب من أن تنظرها عين بشر، حتى صـرخت أجسام الملايين من الشهداء الممزقة إلى الله، لينتقم لها من تلك السلطة المرتدة، وأصـبـحت البـاباوية طاغيـة العـالم،

فالملوك والأباطرة انحنوا خضوعًا أمام أحكام البابا، وبدا وكـأن بابا رومـا يتـحكم في مـصـائر الناس الآن وفي الأبدية، وبكل غـيـرة ووقـار كـان الـناس يمارسـون طقوسها، ويحفظون أعيادها، ويكرمون رجال الكهنوت ويعولونهم بسخاء.

لوثر ودعوته الإصلاحية

رأى لوثر أن الكتب المقدسة كانت مجهولة، ليس فقط للعامة، بل للكهنة أيضًا مما سمح للكهنة ممارسة سلطانهم بحرية غير محدودة، فمارسوا الرذيلة بدون رادع، كما تفشَّى الاحتيال والطمع والإسراف.

وفي قصور البابوات والأساقفة تم ارتكاب أحط مشاهد الفجور، والنجاسة، والجرائم المنفرة جدًا مما جعل بعض رؤساء الحكومات يحاولون عزلهم، وقد أراد لوثر أن يخرج من ظلمتها، ولم يعترف بأساس آخر للإيمان غير الكتاب المقدس، ووقف يصرخ لما رأى الكتاب المقدس لأول مرة وقلب صفحاته وقال: «ليت الله يعطيني هذا الكتاب ليكون ملكي الخاص».

ودخل أحد الأديرة، وكرس نفسه لحياة الرهبنة،

وتحمل الإذلال بصبر إذ كان يظن أنه لازم له بسبب خطاياه وقال عن نفسه: «لقد كنت راهبًا تقيًا، واتبعت قوانين الرهبنة بالتدقيق أكثر مما أقدر أن أعبر عنه، ولو أمكن لراهب أن يرث السماء بأعمال النسك التي يمارسها لكان لي الحق في ذلك. . .ولو استمريت على ذلك مدة أطول لأدت بي تلك العذابات إلى الموت».

ورُسم لوثر كاهنًا، وأخذ يعظ، ثم زار روما، فكتب يقول: «لا يستطيع أحد أن يتصور الخطايا والأعمال الشائنة التي ترتكب في روما، ولا يصدق وجودها إلا من رآها بنفسه، وقد صار أمرًا عاديًا أن يقول الناس: إذا كانت هناك جحيم، فإن روما مبنية عليها، إنها بؤرة تخرج منها كل أنواع الخطايا».

ولما أراد أن يصعد (سلم بيلاطس) لينال صك الغفران سمع صوتًا يقول له: البار بالإيمان يحيا (رومية

١ : ١٧)، وعندما ترك لوثر روما حول قلبه عنها أيضًا ومن ذلك الوقت ازداد الانفصال إلى أن قطع كل علاقة له بالكنيسة البابوية.

وحصل على درجة الدكتوراة من جامعة (ويتنبرج) وقد صرح بثبات أن: «المسيحيين يجب ألا يقبلوا تعاليم ليس لها سلطان الكتاب المقدس»، وامتدت دعوته وقال لوثر بعد بدء دعوته بسنين قليلة: «إن الله لا يقودني، بل يدفعني إلى الأمام، إنه يحملني، فأنا لست سيد نفسي، أنا أرغب في أن أعيش في راحة وسكون، ولكن قد ألقى بي وسط الاضطرابات والانقلابات».

واعترض على بناء كاتدرائية القديس بطرس بأموال صكوك الغفران، ودخل في معركة مع عرش البابوية، والتاج المثلث[1] الموضوع على رأس البابا، وصفوه

---

(١) ملك السماء والأرض والمناطق السفلى (هذا هو الذي يرمز إليه التاج في اعتقادهم).

بالهرطقة، وصرخ الباباويون: «إنها خيانة عظمى ضد الكنيسة أن تسمح لهرطوقي شنيع أن يعيش ساعة واحدة بعد الآن، لتنصب له المشنقة فورًا».

وعقدت محاكمة للوثر وقيل له: «تراجع وإلا ستُحرم، ويُحرم كل الموالين لك، وكل من يؤيدونك في المستقبل، وسيقذف بكم خارج الكنيسة».

وألح في دفاعه أن يظهر البابا أو مبعوثه من الكتاب المقدس خطأ تعاليمه وقال: «لا أستطيع أن أخضع إيماني للبابا، أو للمجالس، لأنه واضح كوضوح الشمس، إنهم كثيرًا ما أخطأوا، وعارضوا بعضهم البعض ما لم أقتنع من شهادة الكتاب المقدس والآيات التي اقتبستها، ويقيد ضميري بكلمة الله فإني لا أستطيع أن أتراجع، ولن أتراجع، لأن المسيحي لا يكون في مأمن عندما يخالف ضميره،

هنا أقف، ولا يمكنني أن أفعل ذلك وليساعدني الله».

وعندما أوصل لوثر البيان البابوي قال: «إني أحتقره وأهاجمه، لأنه غير ورع وكاذب. . . إن المسيح نفسه هو الذي يُدان في هذا البيان. . . إنني الآن أشعر بحرية أعظم في قلبي، لأني قد عرفت أن البابا هو ضد المسيح، وأن عرشه هو عرش الشيطان نفسه»، ثم ظهر منشور يُعلن فصل لوثر النهائي عن الكنيسة، وشُهر به كمن هو ملعون من السماء، كما شملت هذه الإدانة جميع الذين قبلوا تعاليمه، وهكذا بدأ الصراع بين البروتستانتية والكاثوليكية.

إصلاح لوثر والبروتستانت بحاجة لإصلاح

لقد استند لوثر في حربه على البابا والكنيسة الكاثوليكية إلى الكتاب المقدس، وبيَّن انحرافهم عن تعاليمه، وفاته أن يثبت صحة الكتاب المقدس من جهة، وأن يتابع رسول الله ﷺ الذي بشرت به النبوات، ويُسلم وجهه لله، ويترك العقائد الكفرية من جهة أخرى.

قال ابن تيمية في (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ جـ (١) ٣٧٧)، ما نصه: فإن المسلمين واليهود والنصارى متفقون على أن في الكتب الإلهية الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وأنه أرسل إلى الخلق رسلاً من البشر، وأنه أوجب العدل وحرم الظلم، والفواحش، والشرك، أو أمثال ذلك من الشرائع

الكلية، وأن فيها الوعد بالثواب، والوعيد بالعقاب، بل هم متفقون على الإيمان باليوم الآخر.

وقد تنازعوا في بعض معانيها، واختلفوا في تفسير ذلك، كما اختلفت اليهود والنصارى في المسيح المبشر به النبوات: هل هو المسيح بن مريم عليه السلام، أو مسيح آخر ينتظر؟، والمسلمون يعلمون أن الصواب في هذا مع النصارى، لكن لا يوافقونهم على ما أحدثوا فيه من الإفك، والشرك.

وذكر (ص٣٨٠) مسألة التبديل فقال: والتوارة هي أصح الكتب، وأشهرها عند اليهود والنصارى ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر، ذكر في نسخة السامرة منها:- من أمر استقبال الطور - ما ليس في نسخة اليهود والنصارى.

وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب، فإن عند السامرة نسخًا متعددة وكذلك رأينا في الزبور نسخًا متعددة، تخالف بعضها بعضًا مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيرًا منها كذب على زبور داود عليه السلام. وأما الأناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة» اهـ.

وقد سبق أن بينا أسباب هذا الاضطراب، وصوره، ويبدو أن لوثر كان كحاطب بليل، وكما هو معلوم فإن التفسير فرع التصحيح، والحكم على شيء فرع عن تصوره، والسلوك مرآة الفكر.

فاعتقاد لوثر لكل ما جاء في الإنجيل، أو الكتاب المقدس، وإلزامه خصومه به كان يُحسب له، لو ثبت الأصل الذي يحتج به، ويبني عليه.

قال ابن القيم في (هداية الحيارى) ص١٠٢ فما

بعدها، ما نصه: «النصارى تخالف التوراة التي بأيدي اليهود، والتي بأيدي السامرة تخالف هذه وهذه، وهذه نسخ الإنجيل يخالف بعضها بعضًا، ويناقضه، فدعواهم أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقًا وغربًا من البهت والكذب الذي يروجونه على أشباه الأنعام، وإن هذه التوراة التي بأيدي اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين في العلم».

وهم يعلمون قطعًا أن ذلك ليس في الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح، وكيف يكون في التوراة قصة موت موسى ودفنه في أرض موآب؟.

وكيف يكون في الإنجيل الذي أنزل على المسيح (قصة صلبه) وما جرى له، وأنه أصابه كذا وكذا، وصلب يوم كذا وكذا، وأنه قام من القبر بعد ثلاث، وغير ذلك مما هو من كلام الشيوخ النصارى، وغايته أن

يكون من كلام الحواريين خلطوه بالإنجيل وسموا الجميع إنجيلاً، وكذلك كانت الأناجيل عندهم أربعة: يخالف بعضها بعضًا.

ومن بهتهم وكذبهم قولهم: إن التوراة التي بأيديهم، . أيدي اليهود، والسامرة سواء، والنصارى لا يقرون أن الإنجيل منزل من عند الله على المسيح، وأنه كلام الله[1] .

بل كل فرقهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ، ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة، ولا يعرفون عن الإنجيل غير هذا: «إنجيل ألفه متَّى تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح، وكتب بالعبرانية في بلد يهود (يهوذا بالشام، أي: أورشليم القدس) بالشام، وإنجيل ألفه مرقس الهاروني تلميذ شمعون

(١) النصارى لا يقرون أن المسيح ترك إنجيلاً مكتوبًا ويقولون: إن الروح القدس ألهم كتَّاب الأناجيل، وعصمهم من الخطأ.

(أي: بطرس سمعان) بعد ثلاث وعشرين سنة من رفع المسيح، وكتبه باليونانية في بلاد (أنطاكية) من بلاد الروم، ويقولون: إن شمعون المذكور هو ألفه، ثم محى اسمه من أوله، ونسب إلى تلميذه مرقس، وإنجيل ألفه (لوقا) الطبيب الأنطاكي تلميذ شمعون بعد تأليف مرقس، وإنجيل ألفه (يوحنا) تلميذ المسيح بعد ما رفع المسيح ببضع وستين سنة، كتبه باليونانية.

وكل واحد من هذه الأربعة يسمونه الإنجيل، وبينها من التفاوت والزيادة والنقصان ما يعلمه الواقف عليها، وبين توراة السامرة واليهود والنصارى من ذلك ما يعلمه من وقف عليها... فدعوى الكاذب الباهت أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة: شرقًا وغربًا، وبعدًا وقربًا، من أعظم الفرية والكذب، وقد ذكر غير واحد من علماء الإسلام ما بينها من التفاوت، والزيادة والنقصان،

والتناقض لمن أراد الوقوف عليها انظر (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية، و(إظهار الحق) لرحمة الله الهندي . . . ولولا الإطالة وقصد ما هو أهم منه لذكرنا منه طرفًا كبيرًا. اهـ.

اتباع لوثر للمسيح

يوجب عليه اتباع رسول الله ﷺ

لقد أظهر لوثر في اعتراضه على البابا والكنيسة الكاثوليك تمسكًا بالكتاب المقدس، وعملاً بأقوال المسيح، ونحن بإذن الله نلزمه بما تمسك به، وندعوه للدخول في الإسلام، ومتابعة رسول الله ﷺ هو وغيره من أهل الكتاب، فالعلم بأنه ﷺ مذكور في الكتب المتقدمة يُعرف من وجوه متعددة:

١ - إخبار من قد ثبتت نبوته قطعًا بأنه مذكور عندهم في كتبهم، فقد أخبر به من قام الدليل القطعي على صدقه، فيجب تصديقه فيه، هذا لو لم يعلم ذلك إلا من مجرد خبره، فكيف إذا تطابقت الأدلة على صحة ما أخبر به؟

٢ ـ أنه جعل الإخبار به من أعظم أدلة صدقه، وصحة نبوته، وهذا يستحيل أن يصدر إلا من واثق كل الوثوق بذلك، وأنه على يقين جازم به.

٣ ـ أن المؤمنين به من الأحبار والرهبان الذين آثروا الحق على الباطل صدقوه في ذلك، وشهدوا له بما قال.

٤ ـ أن المكذبين والجاحدين لنبوته لم يمكنهم إنكار البشارة والإخبار بنبوة نبي عظيم الشأن صفته كذا وكذا، وصفة أمته، ومخرجه، وشأنه، لكن جحدوا أن يكون هو الذي وقعت به البشارة، وأنه نبي آخر غيره، وعلموا هم والمؤمنون به من قومهم أنهم ركبوا متن المكابرة، وامتطوا غارب البهت.

٥ ـ أن كثيراً منهم صرح لخاصته وبطانته بأنه هو هو بعينه، وأنه عازم على عداوته ما بقي.

٦ ـ أن إخبار النبي ﷺ بأنه مذكور في كتبهم هو

فرد من أفراد إخباراته بما عندهم في كتبهم من شأن أنبيائهم، وقومهم، وما جرى لهم، وقصص الأنبياء المتقدمين، وأممهم، وشأن المبدأ، والمعاد، وغير ذلك مما أخبرت به الأنبياء، وكل ذلك مما يعلمون صدقه فيه، ومطابقته لما عندهم، وتلك الإخبارات أكثر من أن تحصى، ولم يكذبوه يومًا واحدًا في شيء منها.

وكانوا أحرص الناس على أن يظفروا منه بكذبة واحدة، أو غلطة، أو سهو فينادون بها عليه، ويجدون بها السبيل إلى تنفير الناس عنه، فلم يقل أحد منهم يومًا من الدهر أنه أخبر بكذا وكذا في كتبنا وهو كاذب فيه، بل كانوا يصدقونه في ذلك، وهم مصرون على عدم اتباعه، وهذا من أعظم الأدلة على صدقه فيما أخبر به لو لم يعلم إلا بمجرد خبره.

٧ - أنه أخبر بهذا لأعدائه من المشركين الذين لا

كـتاب عندهم، وأخـبر بـه لأعدائه من أهل الكتـاب، وأخبر به لأتباعه.

فلو كـان هذا باطلاً لا صحـة له لكان ذلك تسليطًا للمـشركين أن يـسألوا أهل الكتـاب فـينكرون ذلك هو تسليطًا لأهل الكتـاب على الإنكار، وتسلـيطًا لأتباعـه على الرجـوع عنه والتكذيب له بعـد تصديقـه، وذلك ينقض الغـرض المقصـود بإخـباره من كل وجـه، وهو بمنزلة رجل يخبر بما يشهـد بكذبه، ويجعل إخباره دليلاً على صدقـه، وهذا لا يصدر من عـاقل، ولا مجنون، فهذه الوجوه يعلم بها صـدق ما أخبر به، وإن لم يعلم وجوده من غير جهة إخـباره، فكيف وقد علم وجود ما أخبر به؟

٨ ـ أنه لو قـدر أنهم لم يعلموا بشـارة الأنبيـاء به، وإخبارهم بنعته، وصـفته لم يلزم أن لا يكونوا ذكروه،

وأخبروا به، وبشروا بنبوته؟ إذ ليس كل ما قاله الأنبياء المتقدمون وصل إلى المتأخرين، وأحاطوا به علمًا، وهذا مما يعلم بالاضطرار، فكم من قول قد قاله موسى وعيسى، ولا علم لليهود والنصارى به، فإذا أخبر به من قام الدليل القطعي على صدقه لم يكن جهلهم به موجبًا لرده وتكذيبه.

٩ ـ أنه يمكن أن يكون في نسخ غير هذه النسخ التي بأيديهم فأزيل من بعضها، ونسخت هذه مما أزيل منه.

١٠ ـ أنه استشهد على صحة نبوته بعلماء أهل الكتاب، وقد شهد له عدولهم، فلا يقدح جحد الكفرة الكاذبين المعاندين بعد ذلك.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٤٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٠).

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (المائدة: ٨٢-٨٣).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

(القصص: ٥٢-٥٤).

وإذا شهد واحد من هؤلاء لم يوزن به ملء الأرض من الكفرة، ولا تُعارَض شهادتُه بجحود ملء الأرض

من الكفار، كيف والشاهد له من علماء أهل الكتاب أضعاف أضعاف المكذبين له منهم.

١١ - أنه لو قُدر أنه لا ذكر لرسول الله ﷺ بنعته، ولا صفته، ولا علامته في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب اليوم لم يلزم من ذلك أن لا يكون مذكورًا في الكتب التي كانت بأيدي أسلافهم وقت بعثته، ولا تكون اتصلت على وجهها إلى هؤلاء بل حرفها أولئك، وبدلوا، وكتموا، وتواصوا، وكتبوا ما أرادوا، وقالوا: هذا من عند الله.

ثم اشتهرت تلك الكتب، وتناقلها خلفهم عن سلفهم، فصارت المغيرة المبدلة هي المشهورة والصحيحة بينهم خفية جدًا، ولا سبيل إلى العلم باستحالة ذلك، بل هو في غاية الإمكان، فهؤلاء السامرة غيروا مواضع من التوراة.

ثم اشتهرت النسخ المغيرة عند جميعهم، فلا يعرفون سواها، وهجرت بينهم النسخ الصحيحة بالكلية، وكذلك الأناجيل التي بأيدي النصارى.

وهكذا تبدل الأديان والكتب، ولولا أن الله سبحانه تولى حفظ القرآن بنفسه، وضمن للأمة أن لا تجتمع على ضلالة لأصابه ما أصاب الكتب قبله، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

١٢ ـ أنه من الممتنع أن تخلو الكتب المتقدمة عن الإخبار بهذا الأمر العظيم الذي لم يطرق العالم من حين خلق إلى قيام الساعة أمر أعظم منه، ولا شأن أكبر منه، فإنه قلب العالم، وطبق مشارق الأرض ومغاربها، واستمر على العالم على تعاقب القرون، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومثل هذا النبأ العظيم لابد أن تتطابق الرسل على الإخبار به.

وإذا كان الدجال رجل كاذب يخرج في آخر الزمان، وبقاؤه في الأرض أربعين يومًا قد تطابقت الرسل على الإخبار به، وأنذر به كل نبي قومه من نوح إلى خاتم الرسل، فكيف تتطابق الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها على السكوت عن الإخبار بهذا الأمر العظيم الذي لم يطرق العالم أمر أعظم منه، ولا يطرقه أبدًا، هذا ما لا يسوغه عقل عاقل، وتأباه حكمة أحكم الحاكمين، بل الأمر بضد ذلك.

وما بعث الله سبحانه نبيًا إلا أخذ عليه الميثاق بالإيمان بمحمد ﷺ وتصديقه.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

قال ابن عباس: «مـا بعث الله من نبي إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به، وليتابعنه».

ألوان من سخافة النصارى في الصليب[1]

كيف ينكر على أمة أطبقت على صلب معبودها وإلهها، ثم عمدت إلى الصليب فعبدته وعظمته، وكان ينبغي لها أن تحرق كل صليب تقدر على إحراقه وأن تهينه غاية الإهانة، إذْ صُلب عليه إلهها الذي يقولون تارة: أنه الله، وتارة يقولون: إنه ابنه، وتارة يقولون: إنه ثالث ثلاثة، فجحدت حق خالقها، وكفرت به أعظم كفر، وسبّته أقبح مسبة، أن تجحد حق عبده ورسوله وتكفر به؟!.

وكيف يكثر على أمة قالت في رب الأرض والسماوات أنه نزل من السماء ليكلم الخلق بذاته لئلا يكون لهم حجة عليه، فأراد أن يقطع حجتهم بتكليمه

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» لابن القيم.

لهم بذاته، لترتفع المعاذير عمن ضيّع عهده بعد ما كلمه بذاته، فهبط بذاته من السماء والتحم في بطن مريم، فأخذت منه حجابًا، وهو مخلوق من طريق الجسم، وخالق من طريق النفس، وهو الذي خلق جسمه وخلق أمه، وأمه كانت من قبله بالناسوت، و هو كان من قبلها باللاهوت، وهو الإله التام، والإنسان التام.

ومن تمام رحمته تبارك وتعالى على عباده أنه رضي بإراقة دمه عنهم على خشبة الصليب، فمكّن أعداءه اليهود من نفسه ليتم سخطه عليهم، فأخذوه، وصلبوه، وصفعوه، وبصقوا في وجهه، وتوجوه بتاج من الشوك على رأسه، وغار دمه في أصبعه؛ لأنه لو وقع منه شيء إلى الأرض ليبس كل ما في وجهها، فنبت في موضع صلبه النوار.

ولما لم يكن في الحكمة الإلهية الأزلية أن ينتقم الله

من عبده العاصي الذي ظلمه واستهان بقدره لاعتلاء منزلة الرب، وسقوط منزلة العبد، أراد سبحانه أن ينتصف من الإنسان الذي هو إله مثله، فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح الذي هو إله مساوٍ له في الإلهية، فصلب ابن الله الذي هو الله، في الساعة التاسعة من يوم الجمعة، هذه ألفاظهم في كتبهم!!.

فأمة أطبقت على هذا في معبودها!! كيف يكثر عليها أن تقول في عبده ورسوله أنه ساحر، كاذب، وملك مسلط، ونحو هذا؟!.

ولهذا قال بعض ملوك الهند: أما النصارى، فإن كان أعداؤهم من أهل الملل يجاهدونهم بالشرع فأنا أرى جهادهم بالعقل، وإن كنّا لا نرى قتال أحد، لكني أستثني هؤلاء القوم من جميع العالم؛ لأنهم قصدوا مضادة العقل، وناصبوه العداوة، وشذوا عن جميع

مصالح العالم الشرعية والعقلية الواضحة، واعتقدوا كل مستحيل ممكنًا، وبنوا من ذلك شرعًا لا يؤدي إلى صلاح نوع من أنواع العالم، ولكنه يصي العاقل إذا شرع به أخرق، والرشيد سفيها، والحسن قبيحًا، والقبيح حسنًا؛ لأن من كان في أصل عقيدته التي جرى نشؤه عليها الإساءة إلى الخلاّق والنيل منه، وسبه أقبح مسبّة، ووصفه بما يغير صفاته الحسنى، فأخلق به أن يستسهل الإساءة إلى مخلوق، وأن يصفه بما يغير صفاته الجميلة، ولو لم تجب مجاهدة هؤلاء القوم إلاّ لعموم أضرارهم التي لا تُحصى وجوهه، كما يجب قتل الحيوان المؤذي بطبعه لكانوا أهلاً لذلك.

والمقصود أن الذين اختاروا هذه المقالة في رب العالمين على تعظيمه وتنزيهه وإجلاله ووصفه بما يليق به، الذين اختاروا الكفر بعبده ورسوله، وجحدوا

نبوته، والذين اختاروا عبادة صور خطّوها بأيديهم في الحيطان، مزوّقة بالأحمر والأصفر والأزرق، لو دنت منها الكلاب لبالت عليها، فأعطوها غاية الخضوع والذل والخشوع والبكاء، وسألوها المغفرة والرحمة والرزق والنصر، هم الذين اختاروا التكذيب بخاتم الرسل على الإيمان به، وتصديقه واتباعه، والذين نزهوا مطارنتهم وبطارقتهم عن الصاحبة والولد، ونحلوهما للفرد الصمد، هم الذين أنكروا نبوة عبده وخاتم رسله ﷺ .

مريم عليها السلام[1]

مريم المباركة:

إن موضوع ميلاد المسيح قد ذُكر في القرآن الكريم في سورتين: آل عمران، وسورة مريم، وعندما نقرأ عن بدء مولده ونصل إلى قصة مريم والمكانة المتميزة التي تبوأتها في كنف الإسلام قبل البشارة بمولد المسيح كما يتجلى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢)﴾ (آل عمران: ٤٢).

إن هذا الشرف الذي أُسبغ على مريم في القرآن لم يُتحْ لها حتى في أناجيل المسيحيين!.

ويقول الذكر الحكيم: ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)﴾ (آل عمران: ٤٣).

(١) «المسيح في الإسلام» طبعة دار الفضيلة.

الوحي الإلهي:

ما سرٌّ، وما مصدر الجلال في هذا الكلام السامي الرفيع الجميل الذي يُثير في أصله باللغة العربية وجدان الإنسان، ويصل به إلى صفاءٍ روحيّ يصل إلى حدّ أن تسيل الدموع من العيون؟

إن الآية الرابعة والأربعين من سورة آل عمران توضح لنا هذا السر، وتُبين لنا ذلك السبب، إذ تقول: **﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤)﴾**

(آل عمران: ٤٤).

مولد مريم:

كانت جدة المسيح عليه السلام عاقرًا، وكانت تتجه بقلبها إلى الله، ونذرت أن لو رزقها الله مولودًا لوهبته لخدمة الله في المعبد.

مسألة محيرة:

واستجاب الله دعاءها وولدت مريم، واضمحلّ وتضاءل الأمل، إنها كانت ترجو ابنًا ذكرًا، ولكنها بدلاً من ذلك وضعتها أنثى، وليست الأنثى كالذكر بالنسبة لما تحلم به وتتمناه.

ماذا كانت تستطيع أن تعمل؟ كانت قد نذرت لله نذرًا، وانتظرت لتكبر مريم حتى تعتمد على نفسها.

وعندما حان الوقت، حملت الأم ابنتها الغالية إلى المعبد كي تُكرسها لخدمته .. وكان كل كاهن يتهافت أن يرعى ويتعهد الطفلة الجميلة .. وألقوا سهامهم مقترعين على ذلك كما كان شأنهم عندما يحزبهم خلاف كما نفعل عندما يحتكم طرفان كل منهما يربط حظه من القسمة بأحد وجهي قطعة من العملة، وشاء الله أن تكون من نصيب زكريا.

منبع الرسالة:

كانت تلكم هي القصة، ولكن من أين حصل محمد ﷺ على هذه المعلومات؟ . . لقد كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، لقد أمره الله أن يجيب على هذا التساؤل في الآيات المذكورة آنفًا بأن يقول: إن هذا وذاك وكله إنما كان وحيًا من الله . . ولكن المعارضين المنكرين يقولون: لا . . إن هذا محض اختلاق وتلفيق من محمد . . لقد اقتبس ما زعمه وحيًا أوحى به الله إليه، اقتبسه من كتب اليهود والنصارى . . لقد انتحله وادعاه زيفًا.

وإذ نعرف ونؤمن إيمانًا لا ريب فيه أن القرآن الكريم كله كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإننا مع ذلك سنوافق جدلاً أعداء محمد ﷺ فيما يزعمون مِنْ أنه كان قد اخترعه بنفسه ولم يتلقه

وحيًا من الله، وإننا لنرجو بعض التعاون من المنكرين بأن يتماشوا مع حوارنا معهم بقدر ما يسعفهم المنطق المعقول.

ولنسألهم: هل لديكم شكّ يمنعكم أن تتفقوا معنا على أن محمدًا كان من العرب؟ . . السؤال بصيغة أخرى هو: ألم يكن محمد عربيًا؟ . . إن الذي يتردد في أن يوافق على هذا لا جدوى من النقاش معه.

ولنتقدم في نقاشنا مع من لا يحاور بالباطل فنقول: «إن هذا العربي كان يخاطب العرب الآخرين، ولم يكن يخاطب مسلمين هنودًا أو صينيين أو مسلمين من أهل نيجيريا . . كان محمد، النبي العربي يخاطب العرب، وسواء وافقوه أو خالفوه فإنه كان يخبرهم على أكرم وجه انطبع على قلوبهم وعقولهم أن مريم البتول، أمّ عيسى عليه السلام كانت أفضل النساء مع أنها لم تكن

امـرأةٍ عربيــة، بل كانت امـرأة يهـودية، اختـارها الله وفضـلها على نسـاء العالمين، ولم يضف نبـي الإسلام هذه الميزة على أمه، ولا على زوجـته، ولا على ابنته، ولا على أي امرأة من العرب، ولكنه أضفاها على امرأة يهودية (هي أم المسيح عليه السـلام)، فهل يستطيع أحد أن يفـسـر هذا؟ إن أمّ أي شخـص أو زوجتـه أو ابنتـه مفضلة لديه عن كل النساء.

لماذا يُكرّم ويُشـرّف نـبيّ الإسـلام امـرأة من نسـاء خصومه!، وامـرأة يهودية هي التي حازت هذا التكريم وذاك التشـريف؟، وهي تنحدر من عـرق جنسي أجنبي كان أبناؤه ينظرون إلى قـومه العرب بازدراء طوال ثلاثة آلاف عام كما لا يزالون ينظرون إليهم اليوم؟

سارة وهاجر:

وتنبع عنصـرية اليهـود المتطرفة من كـتابهم المـقدس

لديهم، حيث يلقنون منه أن أباهم إبراهيم كانت له زوجتان: سارة وهاجر، ويقول اليهود: إنهم أبناء إبراهيم من زوجته الشرعية سارة، وأن إخوتهم العرب قد تناسلوا من هاجر التي كانت في نظرهم مجرد جارية، فالعرب سلالة أقل شأنًا من وجهة نظرهم.

هل يتفضل إذن أي شخص كائنًا من كان أن يوضح لنا كيف يختار محمد ﷺ هذه اليهودية (مريم) لمثل هذا الشرف الرفيع (المتمثل في اصطفاء وتفضيل الله لها على نساء العالمين من عرب ومن عجم) لو كان القرآن الكريم من تأليفه؟ . . إن الإجابة بسيطة: لم يكن لمحمد اختيار، ولم يكن له الحق في أن يتكلم كما يهوى ويشاء، إن القرآن ليس إلاّ وحيًا يوحى إليه كما ورد بالقرآن الكريم: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم: ٤).

سورة مريم:

توجد سورة في القرآن بعنوان سورة مريم، وهي السورة التاسعة عشرة من القرآن الكريم، واسم هذه السورة إنما هو تكريم لمريم، أم المسيح عيسى عليه السلام، ومثل هذا التكريم أيضًا لم يسبغ على مريم في إنجيل المسيحيين، ولو أننا تصفحنا ٦٦ سفرًا للبروتستانت و٧٣ سفرًا للروم الكاثوليك، فإننا لا نجد أيًا منها قد عُنْوِنَ تكريمًا لمريم أو لابنها المسيح عليه السلام، سنجد كتبًا من الإنجيل بعنوان متى أو مرقس أو لوقا أو يوحنا أو بطرس أو بولس، وستجد عناوين لأشخاصَ أقل أهمية وشهرة، ولكنك لن تجد واحدًا بعنوان عيسى أو بعنوان مريم.

ولو كان محمد ﷺ هو مؤلف القرآن لما تَعَذَّرَ عليه أن يُقحم اسم أمه (آمنة) مع اسم مريم أو المسيح،

ولَـمَا تعذر عـليه أن يقحم أيضًـا اسم خديجة زوجـته الوفية أو اسم فـاطمة، ابنته المحبـوبة،ولكن، كلا! ثم كلا! لأن القرآن ليس من صنع يديه.

هذا هو الدين الذي دعا إليه النبي الأمي

آمنا أن الله حق، وأن النبي ﷺ حق، وقد قامت الدلائل الكثيرة على صحة نبوته، ووجوب تصديقه في كل ما أخبر، والعمل بكل ما أمر، وإليه دعا، فما كان بدعًا من الرسل، ولكن جاء مصدقًا لمن سبقه من الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦)، وقال سبحانه: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وأصول الشرائع التي جاء بها الأنبياء والمرسلون

واحدة، أوحى الله بها إليهم، وأنزل عليهم بها كتبه، يوصي فيها سابقهم بالإيمان باللاحق منهم، ونصره وتأييده، ويوصي متأخرهم بتصديق من تقدمه منهم، وكل ما جاءوا به من عند الله يسمى دين الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

(آل عمران: ٨١-٨٥).

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكلها دالة على وحدة أصول التشريع الذي جاءت به الأنبياء من توحيد الله بالعبادة، والإيمان به، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقضاء والقدر، وأصل الصلاة، والزكاة، والصيام، كقوله تعالى في ذكر دعاء خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

إلى أن قال في حكاية ضراعة خليله إليه: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ (إبراهيم: ٤٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ (مريم: ٥٤-٥٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (يونس: ٨٧).

وقوله في عيسى عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (مريم: ٣٠-٣١).

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

لكنها اختلفت في كيفياتها، وتفاصيل فروعها، كما قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة: ٤٨)، وعلى هذا فمن آمن بأصول الشرائع على ما جاء به الأنبياء والمرسلون قد رضي الله عنهم، وكتب لهم السعادة والفلاح، وهم الذين امتدحهم الله في كتابه وأثنى عليهم نبينا محمد ﷺ في سنته، ومن آمن ببعض الأصول التي جاءوا بها من عند الله، وكفر ببعض، فأولئك هم الكافرون حقًا بالجميع.

وقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه

قال: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»[١].

ولذلك فمن كفر بمحمد ﷺ، أو بدين الإسلام من اليهود والنصارى، فهو كافر بالله، ويعامل معاملة الكفار في أحكام الدنيا والآخرة، ولا ينفعه تمسكه بدينه مع كفره بما جاء به نبينا محمد ﷺ.

ومن المعلوم أن التوراة قد غُيرت وبُدلت، وأن الدين المسيحي حرفه النصارى عما كان عليه أيام نبيهم عيسى عليه السلام، بدليل أنهم قالوا: المسيح ابن الله، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة... وقد رد الله عليهم ذلك، وكفَّرهم به.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ (المائدة: ١١٦-١١٧)، إلى غير ذلك من النصوص.

والواجب علينا أن نرجع للكتاب والسنة في فهم العقيدة الصحيحة، فهذه هي الأصول المعصومة والمحفوظة، وهذا هو الدين الذي تكفل الله بحفظه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩).

فهرس